هل التنافس وجه آخر للصراع والتحدي ام محرّض للطموح والارتقاء؟

مفهوم جديد للتنافس وارتباطه بالطموح والارتقاء استخلصته بعد ان انهيت قراءة كتاب مشوق لعلوم انسانية الانسان – الايزوتيريك بعنوان «رحلة الى عالم المجهول». فهذا الكتاب التاسع استوقفني مطولا لما فيه من طروحات ومفاهيم جديدة تستسيغ الفكر. اذ انه يختصر بعمق وبلاغة انسانية مسيرة انسان صمم الانطلاق للتعرف الى مجاهل نفسه وخفاياها.. وكان بطل الكتاب، بين كل انطلاقة ووصول، يتمرّس في اشكال التحدي كافة مكرسا نفسه لاحتواء المعرفة، للوعي ولخدمة الخير العام... فقد واجه البطل اعنف صراعات النفس، وتحدى المصاعب والعثرات التي كانت بمثابة حوافز استنهضت فيه روح الطموح والارتقاء.

ولعل العبرة الاهم في الكتاب انه يحث القارئ على التعرف الى مجاهل نفسه لأن في معرفة النفس قوة، والقوة – المعرفة تتحول الى يقين حين يجبلها المرء بالتجارب الحياتية.

ما اطلعت عليه من مفاهيم راقية في الكتاب المذكور غير نظرتي المتوارثة للتنافس كونه شعوراً بالحسد والانفراد في الانجاز، او التسابق في اتمام عمل ذي اهمية، كما حثني للتساؤل: هل التنافس حافز يستنهض التصرفات الايجابية ام السلبية في النفس الانسانية؟ وما هو الرابط بين التنافس وكل من التحدي والطموح؟؟؟

توضح علوم الايزوتيريك في مؤلفاتها التي بلغت خمسة واربعين كتابا حتى تاريخه ان فهم مطلق موضوع لا بد وان ينطلق من المحور الاساس، الا وهو الانسان نفسه، وبالتالي فهم ارتباط التنافس بتصرفات المرء وصراعاته لا بد من ان ينطلق من فهم النفس البشرية، فعلوم الايزوتيريك توضح ان الصراع مزدوج المسار، الاول مسار داخلي – خارجي والثاني مسار خارجي – داخلي.

فالمسار الاول يبدأ من النفس البشرية، من عمق الصراعات القائمة بين الوعي واللاوعي، بين التصرفات الايجابية والسلبية، وبين الفكر والمشاعر، الى ما هنالك من صراعات اخرى... فالصراعات الداخلية هذه ستنعكس اثارها لتتمظهر في صراعات خارجية، وربما قد تتجلى في تنافسات بين شخص واخر مباشرة في خضم الحقل العملي التطبيقي، والعكس صحيح.

اما مسار التنافس، فهو مسار يبدأ من الخارج لينعكس صراعا في داخل النفس. وهذا ما يؤكد ارتباط مساري كل من التنافس والصراع، ويوضح كيف ان التنافس هو وجه خفي لصراع النفس.

ان المثال التالي يوضح المقصود: موظفون يعملون في الشركة نفسها، احد الموظفين يحقق انجازا يميزه عن الاخرين في عمله ويكسبه مركزا ارقى في الشركة. فانجاز هذا الموظف قد يكون الشرارة التي توقظ حس التنافس والتسابق عند موظف آخر او اكثر.

ان المثال المذكور يصور مسار التنافس الذي بدأ من الخارج بفعل شرارة معينة – هي انجاز الموظف المميز، وانعكس كوجه من وجوه الصراعات الداخلية في نفس موظف اخر. فهذا الصراع قد يكون بين مشاعر الموظف التي قد تتجسد كغيرة وحسد، وبين افكاره التي تسعى الى تحقيق انجاز يميزه هو ايضا ويطور اداءه.

ويبقى للموظف حرية الاختيار في كيفية توجيه التنافس المذكور اما ايجابا لخدمة تطوره الفردي، او سلبا لتفعيل الجانب السلبي من الصراع الداخلي.

عامة كي ينجح المرء في توجيه اي تنافس ايجابا عليه ان يحدد الهدف اولا ثم يسعى الى تحقيقه عبر تخطي الصراعات الداخلية الامر الذي يجعله يتخذ من كل انسان ناجح مثالا يتعلم منه ويتمثل به... وذلك لا يتحقق ان لم يدرس الإنسان نفسه بكل تجرد وينفتح على نفسه ليكتشف النواقص فيها بالتالي يسعى لتعبئتها من خلال المراقبة والتعلم والتطبيق. وهذا ما يؤدي بدوره الى تفعيل الصفات الايجابية في النفس واكتساب صفات جديدة.

اما حين يرفض المرء الانتفاح على مكامن الضعف في نفسه والاعتراف بها فسيفشل حتما في تعبئة النواقص في نفسه وستبرز فيه الصفات الاشد سلبية خاصة حين يواجه تنافسا خارجيا. وهذا مرده الى عدم نجاح المرء في تخطي صراعاته الداخلية الى جانب فشله في احتواء انجازات الاخرين. ففي هذه الحالة يكون المرء قد وجه التنافس باتجاه سلبي سيصعّد بدوره صراعاته الداخلية ليقع تحت وطأتها وسيطرتها.

يبيّن الايزوتيريك الفارق بين نوعين من التحدي الاول هو التحدي من الداخل اي تحدي النفس والثاني هو تحد من الخارج اي تحدي شخص من الخارج،ان التحدي الذي نحن بصدده هنا هو تحدي النفس بكل ما للكلمة من معان وابعاد... انه التحدي الذي يتجاوز الحماس لأنه حماس التطبيق بحكمة اي بانفتاح كلي... حماس استيعاب الامور واحتواء الظروف والاشخاص والمواقف خصوصا تلك التي تستفز حس التنافس في النفس...

توضح علوم انسانية الانسان الايزوتيريك لتقول بإن التحدي الاكبر الذي يرافق المرء عامة وهو يعمل على توجيه التنافس لخدمة تطوره الفردي هو الاستمرارية في تفعيل مستويات متجددة من الحركة التي يمكن ان يحققها على الدوام. هو تحدي انتزاع حركة الجمود من باطنه عبر تحقيق التجدد في اعماقه لينعكس تجددا في دوائر حياته.

ببساطة ان توجيه المرء لأي تنافس ايجابا يستحيل ان يتحقق ان لم يرافق التجدد كل خطوة يخطوها. فالتجدد ليس عنصرا كفيلا لتطور المرء فحسب بل هو ايضا العامل الذي يوقظ في نفسه روح الطموح بهدف الارتقاء الى الافضل. واستشهد هنا بما قاله بطل "رحلة الى عالم المجهول" في صفحة ٨٩ الذي رغم نجاحه في بلوغ عالم ما...

الا انه كان يرفض الركود والتوقف في ذلك العالم طارحا على نفسه السؤال التالي: "لم الركود طالما اني املك المقدرة على التقدم؟ فالسعادة لن تبقى سعادة ان هي تجمدت وتوقفت. السعادة ستفقد شعورها الحقيقي ان استمرت سعادة على الوتيرة ذاتها."

ان التنافس ضروري في حياة كل من يطمح الى التوسع والانفتاح التفاعل والارتقاء في حياته على الصعد كافة. فالتنافس هو بمثابة الحافز الذي يبقي حركة الانسان في تجدد دائم. هو بمثابة الوقود الذي تستحث الفكر لابتكار الجديد وتحدي النفس في تحقيق كل جديد.

لبنى نويهض